جامعة بن طفيل

كلية اللغات و الآداب و الفنون

القنيطرة

مسلك الدراسات العربية / الفصل الخامس / مسارلسانيات

قضايا نحوية / د بوغابة

2021-2020

محاضرة : نمطية التأليف النحوي عند سيبويه

مقدمة:

التأليف هو جمع الأشياء المتناسبة والمتناسقة في علم من العلوم أوفن من الفنون، وللتأليف مرادفات عدة عرفتها أدبيات التدوين؛ مثل التصنيف والإملاء، فيقال مثلا: " هذا الكتاب تصنيف فلان، أو صنفه فلان."[1]

كما أن للتأليف أو التصنيف آدابا، فليس من آداب المؤلف أو المصنف أن ينسب كلامه إلى نفسه وليس له، فالأمانة العلمية في النقل واجبة في التصنيف والتأليف.

قال السيوطي: "ومن بركة العلم وشكره؛ عزوه إلى قائله...، ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفا إلا معزوا إلى قائله من العلماء، مبينا كتابه الذي ذكر فيه."[2]

ولكل تأليف غايات وأغراض، إذ لا يمكن أن يؤلَّف مؤلَّف دون أن تكون له غايات وأهداف، والتأليف عبارة عن خطة تسهل على القارئ أو المتلقي غايته من المؤلَّف، دون أن يجد صعوبة ومشقة في بحثه، حيث يجد العمل متناسقا ومتكاملا بفعل الطريقة الممنهجة في سبر المعلومات والمعارف، ووضع كل معلومة في موطنها، كي لا يصعب على القارئ إيجادها، فلا يسمى المؤلِّف مؤلِّفا إلا إذا أتقن عمله وتفنن فيه، فقيمة عمل ما؛ في طريقة إعداده، سواء كان العمل كتابة أو غيرها، وتختلف عملية التأليف من شخص لآخر، باختلاف معارفهم الفكرية والثقافية، فلكل مؤلِّف منهاجه الخاص به في التأليف، وأدواته الخاصة به كذلك.

وما يميز جودة التأليف هو استناد المؤلِّف إلى أدوات تعبيرية سليمة، ومنهاج موضوعي، ومصداقية في النقل، ونزاهة في تناول المعارف

للتأليف منهجية، وللمنهجية غاية، فليس هناك علم بلا تأليف وتدوين، ولا تدوين بلا مناهج، فالعلوم جميعها تدون وتؤلف، وفقا لخطة مرسومة، ونمطي علمي دقيق ومرموق، لأن قيمة العلوم تكمن في نمطها التأليفي، وفي طريقة تنظيم وترتيب محتوياتها.

ومن بين هذه العلوم: علم النحو؛ فقد حظي هذا العلم بعناية كبيرة، نظرا لأهميته في الحقل اللغوي، والمعرفي بصفة عامة، وصنفت فيه مجلدات ومؤلفات ومتون؛ بشروحها وتعاليقها

---

[1]- الوجيز في أصول البحث، إياد خالد الطباع، ص: 7.

[2]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي. تح: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (د-ط)، (د-ت)، ج1/ 319.

وحواشيها، ويختلف كل مؤلف عن الآخر من حيث التأليف والتصنيف، وطريقة تنظيم محتويات مادته.

ولعل أبرز المؤلفين في هذا العلم -: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه، ويعتر من أقدم في النحو العربي، وأحسن التأليف فيه، فأقدميته وسبقه جعلت مؤَلَّفَه الكتاب غامضا؛ من حيث المصطلحات المؤَظفة في ثناياه، والتبويب والعنونة، والأسلوب والترتيب، مقارنة مع من جاء بعده من النحاة .

1- التأليف النحوي:

التأليف في النحو مر من مراحل متعددة ومتباينة كباقي العلوم؛ مرحلة النشأة والتكوين، ثم مرحلة التقعيد،ثم مرحلة التوسيع في التأليف فيه بوضع متون وشروح الشروح والحواشي.

والتأليف في النحو في بداياته يختلف باختلاف المدرستين، أو المدارس التي ستظهر فيما بعد؛ سواء في تناوله أو التقعيد له، ومن أبرز من أُلِّف فيه وصار مصدرا أساسا لكل من جاء بعده؛ هو " الكتاب" لسيبويه، والذي ذعا صيته في كل البقاع. " فهو لم يسم كتابه، ولا جعل له مقدمة ولا خاتمة، ولعله كان على نية العود إليه لبعض الأمر... على أن القدماء سموه عنه، إذ أطلقوا عليه اسم الكتاب غير موصوف بوصف."[1]

[1]- الكتاب نفسه. ص: 18.

حياة سيبويه

***نشأته:** لم تذكر كتب التراجم شيئا عن مكان أسرته أو مستواه الثقافي والاجتماعي، فكل ما وصل إلينا يومئ إلى أنه كان من أسرة فارسية، وقد أغفلت كتب التراجم السنة التي ولد فيها سيبويه، غير أن بعض الباحثين ذهبوا إلى أنه ولد في سنة: 148هـ،[1]وقيل: غير ذلك.[2]

وسيبويه هو " عمر بن عثمان بن قنبر، وسيبويه لقبه الذي لا يكاد يذكر أو يعرف إلا به."[3]

ولقب بهذا لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك، ومعنى سيبويه: رائحة التفاح،[4] وقيل بل لأنه كان شابا نظيفا جميلا أبيضا مشربا بحمرة؛ كأن خدوده تشبه لون التفاح.[5]

ولد وترعرع سيبويه في قرية البيضاء، وهي منطقة في بلاد فارس، ثم غادرها مع أسرته متجهين نحو البصرة وبها تتلمذ ودرس على يد شيوخها الكبار.[6]

وفي بداية دراسته؛ إتجه إلى دراسة الفقه والحديث، وبعد فترة وجيزة؛ اتجه إلى تعلم النحو،[7] وله في هذا الانتقال طريفة؛ حيث روي أن سيبويه قصد مجلس حَمَّاد بن سلمة البصري الذي كان يستملي عليه حديثا جاء فيه :{ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من أصحابي أحد لو شئت لأخذت عليه، ليس أبا الدرداء"}، فقال سيبويه: " ليس أبوالدرداء"، ظنه اسم ليس، فصاح به حماد؛ لحنت يا سيبويه، ليس هذ حيث ذهبت، إنما هو استثناء، فقال سيبويه: لا جرم، والله لأطلبن علما لا تُلَحِّنني فيه أبدا.[8]

---

[1]- ينظر: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1986،7، ج81/5.

[2]- ينظر: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان. ج464/3، النسخة المحفوظة: 12يناير 2020، على موقع:// واي باك مشين.

[3]- تاريخ النحو، علي النجدي ناصف. ص: 18.

[4]- ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير.تح: مجموعة من المحققين تحت إشراف: عبد القادر الأرناؤوط، وبشار عواد معروف، ط1، أوقاف قطر، (د-ت)، ج184/10.

[5]- ينظر: الكنى والألقاب، عباس القمي. ج3029/2. النسخة المحفوظة: 15أكتوبر 2018، على موقع:// واي باك مشين.

[6]- ينظر: تاريخ النحو، علي النجدي ناصف. ص: 18.

[7]- ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.ج12/ 191. النسخة المحفوظة: 10يناير 2020، على موقع:// واي باك مشين.

[8]- الفهرست، ابن النديم البغدادي. ص: 57. النسخة المحفوظة: 18أكتوبر2018، على موقع: // واي باك مشين.

شيوخه: من عادة العلماء أنهم يتتلمذون ويدرسون على يد شيوخ كثيرة، حتى أن بعضهم: يتباهى كل واحد منهم بكثرة شيوخه لا بذات العلم.

ومن أبرز شيوخ سيبويه:

.حماد بن سلمة بن دينار البصري، درس على يديه: الحديث وعلم مصطلح الحديث.

. الخليل بن أحمد الفراهيدي، تعلم منه عن حب وعزيمة، فلازمه كالظل، حتى لقد تأثره الكبير بشيخه هذا على طول صفحات كتابه الوحيد، وعرضه في روايته، واستشهاداته به.

ولم يكتف سيبويه بشيخه الخليل في علوم النحو، فقد أخذ العلم عن يونس بن حبيب كذلك، وعيسى بن عمر وغيرهم، فتنوعت ثقافته وتوسعت معرفته بعلم النحو والصرف، وتبوأ مكانة علمية متميزة، ثم رحل إلى بغداد، والتقى بالكسائي. شيخ الكوفين. ووقعت بينهما مناظرة في النحو حول . المسألة الزنبورية ،. وقد تغلب فيها الكسائي على سيبويه.[1] غير أن سيبويه لم يبق في بغداد بعد هذه المناظرة.

تلامذته: لم يكن لسيبويه تلاميذ كثيرون، لكونه قد توفي في ريعان شبابه، ومن أبرز من تتلمذ على يديه:

.أبو الحسن الأخفش.

.الإمام قطرب: المشهور بمثلثاته.[2]

آراء العلماء فيه: مما لا يختلف عليه اثنان؛ أن سيبويه كان نبراسا وجهبذا في علمي النحو والصرف، فقد ألف فيهما وأفاد، وتعلم العربية فأتقنها وأبدع فيها وعلمها، وعلمه في النحو والصرف لا يزال يروي كل عطشان، وهو دليله في معرفته خبايا وعمق اللغة العربية.

في هذا الصدد يقول محمد بن سلام: "كان سيبويه النحوي؛ غاية الخلق في النحو، وكتابه هو الإمام فيه."[3]

---

[1]- ينظر: مغني اللبيب، إبن هشام الأنصاري. تح: مازن مبارك، وحمد علي حمد الله،(د-ط)، (د-ت)، ج88/1.
[2]- ينظر: سيبويه؛ إمام النحاة، علي النجدي ناصف. عالم الكتب، ط2، 1979، ص: 103.
[3]- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي. ج12/ 192.

أما الجاحظ فقد وصفه " الكتاب" قائلا: " لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال."[1]**وفاته:** توفي سيبويه في ريعان شبابه حزنا وقهرا أثناء عودته من بغداد، وقيل: إنه توفي سنة 160 هـ، وقيل 194هـ،[2] "والأصوب أن تاريخ وفاته هو: 180هـ، لأن سيبويه مات قبل يونس، ويونس مات سنة 183هـ."[3]

وقد أدركته المنية في البيضاء، وقيل: بالبصرة، وقيل: بساوة.[4]

منزلته العلمية: كان سيبويه عالما عارفا بقواعد اللغة العربية؛ نحوها وصرفها ومعجمها، يتجلى ذلك من خلال كتابه الذي أغنى المكتبة العربية الإسلامية، ويعتبر من أهم المصادر النحوية، وسنتحدث عنه بالتفصيل في المبحث الآتي.

وقد زكى الزجاج سيبويه حيث قال: "إذا تأملت الأمثلة في كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة."[5]

أما السيرافي فقد قال عنه:"عمل سيبويه كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد."[6]

كما عده ياقوت الحموي مفخرة لأهل البصرة قائلا: "لأهل البصرة ثلاثة كتب يفتخرون بها على الأرض: كتاب النحو لسيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات."[7]

كتاب سيبويه "الكتاب":

التعريف بالكتاب: لا يمكن الحديث عن سيبويه دون أن يكون هناك حديث عن مؤَلَّفه الوحيد .الكتاب ،. وخاصة أن عليه المعتمد في بحثنا هذا.

---

[1]- مسالك الأبصار، في ممالك الأمصار، إبن فضل الله العمري. تح: كامل سلمان الجبوري، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، ط1،2010، ج7/ 86.

[2]- بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي. تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط1،(د-ت)، ج2/230.

[3]- إنباه الرواة، على أنباه النحاة، الإمام القفطي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط1، (د-ت)، ج2/353.

[4]- ينظر: بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي. ج2/230.

[5]- طبقات اللغويين والنحويين، محمد بن الحسن الزبيدي. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، 1984، ص: 72.

[6]- أخبار النحوين البصريين، أبو سعيد السيرافي. تح: محمد ابراهيم البناء، دار الإعتصام- القاهرة، ط1، (د-ت)، ص: 64.

[7]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي. دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1993. ج3/1406.

وقد استوعب هذا المؤلَّف أصول علم النحو وفروعه، وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب لا يقتصر فحسب على ذكر القواعد النحوية، بل يشمل قواعد الصرف أيضا، وقد شمل أبوابا لأوزان الكلمة وأنواع الاشتقاق المختلفة والتثنية والجمع والإعلال والإبدال والتصغير والنسب وغير ذلك من أبواب التصريف.

فالكتاب مقسم إلى أبواب تبلغ ما يقرب ستمائة، كل باب منها يعالج ناحية من نواحي القواعد، وليس في الكتاب مقدمة، بل أوله في صميم الموضوع.

وقد استهل كتابه بأقسام الكلام، أو الكلام وما يتألف منه، وعنونه ب "هذا باب علم ما الكَلِم من العربية."[1]

والكتاب أُلِّف في جزأين؛ جزء يحتوي على الكلام وأقسامه، والفاعل والمفعول وما يعمل عمل الفعل، وإعمال المصدر، واسم الفاعل، والصفة المشبهة، والحال والظرف، والجار والتوابع، والمعرفة والنكرة، والمبتدأ والخبر، والأسماء التي بمنزلة الفعل، والأحرف الشبهة به، والنداء والترخيم، والنفي بلا، والاستثناء، وباب لكل من أحرف الجر.

أما الجزء الثاني فيشمل: ما ينصرف وما لا ينصرف، والنسب والتصغير والمقصور والممدود، والجمع والوقف والإعلال ولإبدال ووزن الكلمات.

أما ترتيبه: فقد خالف نهج الذي يسلكه غيره من المؤلفين المتأخرين عنه، وسنتناول هذا الموضوع في المبحث الأول من الفصل الثاني.

يقول الزمخشري واصفا "الكتاب":

ألا صلى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أبناء منبر[2]

كما وصف "الكتاب" أيضا ابن تيمية بقوله: "إن كتاب سيبويه مما لا يقدر على مثله عامة الخلق، وليس بمعجز إذا كان ليس مختصا بالأنبياء، بل هو موجود لغيرهم."[3]

---

[1]الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر- سيبويه. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط3، 1988، ج1/ 12.
[2]- بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي. ج2/266.
[3]النبوات، ابن تيمية. دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000، ج1/ 16.

فابن تيمية يرى أن هذا العمل ليس متاحا للجميع، ولو أنه بشري الخلق والإبداع.

وقال ابو حيان في البحر المحيط: "فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحرير والتحبير، أن يعتكف على كتاب سيبويه، فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حل المشكلات إليه."[1]

ومما سبق غيض من فيض عن مكانة كتاب سيبويه لذا علماء اللغة العربية وفقهاء الأمة وشيوخ الإسلام، والأمر أشهر من أن يُستدَلَّ عليه.

القيمة العلمية للكتاب: نال الكتاب تزكية من قبل الكثير من العلماء، كما نالها صاحبها، بل لولاه لن يتبوأ تلك المكانة التي بها أصبح نارا على علم؛ لكونه شمل مجموعة من المعارف العلمية، ولكونه سباقا للتأليف في هذا العلم والإبداع فيه.

وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه؛ أركبت البحر؟[2]

كما ذكر صاعد بن أحمد الجبائي من أهل الأندلس " لا أعرف كتابا أُلِّف في علم من العلوم؛ قديمها: فاشتمل على جميع ذلك الفن، غير ثلاثة كتب... والثالث كتاب سيبويه"[3]

ويعد كتاب سيبويه ناذرةإكتشفها الناس في عصره، فاحتفلوا به في كل البقاع؛ في الشرق والغرب، وفي فترات متعددة، ولا يزال كتاب سيبويه في صدارة الكتب المؤلفة في النحو؛ فاجتمع حوله الناس وألفوا شروحات له وتعليقات ودراسات عليه لا تعد ولا تحصى، فمهدوا له، ورتبوا مسائله، وحلوا مشكله، ووضحوا غريبه، وشرحوا شواهده، وجردوا أحكامه.

كتاب سيبويه قرآن النحو كما يقولون، لذا اختلف حوله الناس ؛ فمنهم من أوصله إلى مرتبة التقديس، ومنهم من حاول الانتقاص منه بأي شكل من الأشكال لأنه لسيبويه ليس إلا، ومنهم من وجد فيه ضالته فعكف عليه بالحفظ والتدريس.[4]

---

[1]- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلشي. دار الفكر بيروت، ج101/1.
[2]- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي. ج248/2.
[3]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج5/
[4]-ينظر: تاريخ النحو، علي النجدي ناصف. ص:23.

يقول كارل بروكلمان: "كتاب سيبويه أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة، وقد زاد المتأخرون كثيرا من تحديد مقاصد النحو، وتبين حدود، ولكنه لم يكادوا يضيفون إليه شيئا ذا بال من الملاحظات الهامة، والأنظار الجديدة."[1]

وتحدث شوقي ضيف عن قيمته العلمية قائلا: "كتاب سيبويه لا يعلم العربية فحسب، بل يعلم أيضا أساليبها ودقائقها التعبيرية"[2]

إن هذا السفر العظيم لشامل لقواعد العربية وأساليبها، إذ لا يقتصر على التقعيد فحسب، بل تجاوزها إلى سرد أنماط دلالية وصرفية ومعجمية، وقيمته العلمية: تكمن في سبقه في التأليف، وبتلك النمطية الراقية.

وقد نال من مدائح العلماء الكثير؛ قديمهم وحديثهم نظرا لما يحويه من معارف علمية، وقواعد اللغة العربية الأساس.

وعلى الرغم من كل هذا؛ فقد تباينت آراء الدارسين لكتاب سيبويه فيما يتعلق بمداخله ومنهاجه. فمنهم من رأى أن الكتاب له منهج محكم ودقيق، ومنهم من يرى عكس ذلك؛ مختل المنهج، ومضطرب التصنيف، ونورد هذه الآراء على الشكل الآتي:

.النافون لوجود المنهج في الكتاب:

يقول أحمد بدوي: "ولا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله على الطريقة المنطقية الدقيقة، فيقدم أبوابا من حقها أن تتأخر، ويؤخر أبوابا من حقها أن تتقدم، ويضع فصولا في غير موضعها الطبيعي."[3]

ويرى علي النجي ناصف: أن الكتاب يحتوي على أبواب في مواضعها غريبة مقحمة، ولم يستطع أن يجد لها تأويلا لمقامها حيث تقيم؛ إذ تكلم سيبويه على القسم وحروفه بين التصغير ونوني التوكيد، أي في الصرف مع أنها بالنحو أشبه كما لا يخفى، وتكلم في باب مستقل على تركيب واحد من تراكيب الحال، في أثناء الكلام على النعت وتفصيل أبوبه. ولم

---

[1]- تاريخ الأدب العري، كارل بروكلمان.ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط8، 2000، ج135/2.
[2]- المدارس النحوية، شوقي ضيف. دار المعارف القاهرة، ط7، (د-ت)، ص: 77.
[3]- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، محمد كاظم البكاء. دار الشؤون الثقافية –بغداد، ط1989،1، ص: 21.

يجد في التركيب ولا في كلام سيبويه عنه إشارة بادية تدل على أن بينه وبين جيرانه شيئا من صلة، أو وجها من تشابه[1].

فعلى النجدي ناصف يعزو هذه الانتقادات إلى كون سيبويه مازجا بين علمين مختلفين في التقعيد النحوي والتأليف فيه.

ويصرح حسن عون: بأن منهج سيبويه أصابه الاختلال والاضطراب في إطاره العام في نظر المحدثين؛ حينما وجدوا في القسم الخاص بالصرف ومسائله بعضا لقضايا النحوية التي كان ينبغي أن توضع في القسم الأول، أي في القسم الخاص بالنحو وذلك مثل باب القسم، وباب الممنوع من الصرف، إذ إن هذين البابين مدرسان ضمن أبوب النحو في المؤلفات النحوية التي جاءت بعد سيبويه.[2]

.القائلون بوجود منهج:

على النقيض من تلك الآراء التي عرضاها آنفا؛ تطالعنا نفر من الدارسين الذين أثبتوا عكس ما ذهب إليه الفريق الأول.

يقول محمد طنطاوي: "والكتاب مجهود علمي يدل على دقة سيبويه في الإلمام بالقواعد النحوية؛ فهو صورة لجهوده وجهود من سبقه من العلماء، إلا أن شخصيته فيه واضحة قوية، وقد ظهرت هذه الشخصية في تركيب الكتاب وتبويبه، وحسن تعليل القواعد، وجودة الترجيح عند الاختلاف، واستخراج الفروع من القياس الذي زخر به الكتاب."[3]

ويرى شوقي ضيف: أن للكتاب منهجا سديدا في التصنيف، فقد نسق سيبويه أبوابه وأحكمها إحكاما دقيقا، خصوصا وأنه أول كتاب جامع لقواعد النحو والصرف.[4]

ولو أن الآراء تضاربت بين مثبت وجود منهج، وبين نافيه، إلا أن الأبواب أثارت حفيظة النافين لا تعدو أن تكون معدودة، ولا تشكل خرقا واضحا في منهجية التأليف وترتيب أبواب الكتاب، وكذا خلطه بين العلوم المختلفة، ولا غرو أن كثيرا من المؤلفين المحدثين صاروا على منواله في طريقة التأليف

---

[1]ينظر: سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف. ص: 185.
[2]- ينظر: تطور الدرس النحوي، حسن عون. قسم البحوث والدراسات الأدبية- مصر(د-ط)، 1970، ص: 34.
[3]- نشأة النحو، وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي. دار المعارف-مصر، ط5، 1973، ص: 82-83.
[4]- ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف. ص: 60.

منهج التأليف النحوي عند سيبويه:

● **تعريف المنهج:** لغة: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال.[1]

وفي القرآن الكريم: { **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**}[2].

وجاء في المعجم الوسيط: "المنهج هو الخطة المرسومة، وجمع المنهج مناهج"[3]

ويعد منهج سيبويه في التأليف النحوي؛ منهج فطرة وطبع، فإذا كان التأليف يقصد به جمع أجزاء الموضوع وشرحها وتنظيمها؛ فالتأليف عند سيبويه: هو الطريقة التي نهجها في جمعه للمادة النحوية واستقراء القوانين والقواعد الكلية التي تطرد في كلام العرب،

1- في العناوين والأبواب:

يعد العنوان أو التبويب علامة لغوية، تعلو النص لتسميته، فلولا العناوين لظلت الكثير من الكتب مكدسة في رفوف المكاتب، فكم من كتاب كان عنوانه سببا في ذيوعه وانتشاره.[4]

فالعنوان أساس في التأليف، ولا يمكن الاستغناء عنه، ولا يوجد عمل أدب خال من العنوان قديمها وحديثها، ولو أن طريقة العناوين تختلف من عصر إلى عصر ومن حقبة إلى حقبة، الشيء الذي نلمسه في كتاب سيبويه، مقارنة مع المؤلفين المصنفين الذين أتوا من بعده.

فقد كان سيبويه يعنون أبواب كتابه بعناوين طويلة وغامضة أحيانا، حتى أنها تحتاج إلى كثير من التدبر والتمرس بالعربية، ومن أمثلة عناوينه الغامضة: "هذا باب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يَفْعَل به."[5] ويقصد بهذا العنوان: ما

---

[1]- معجم الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. ط3، 1413هـ، فصل النون.
[2]- سورة المائدة، الآية: 48.
[3]- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية –لقاهرة، ص: 957.
[4]- سيميائية العنوان في رواية عبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، أنجزها الطالب: سفيان دزيب، تحت إشراف عمر مهدي، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية: 2016-2015، ص:2.
[5]- الكتاب، سيبويه. ص: 73.

اصطلح عليه باسم: التنازع، ومثل قوله في بداية الكتاب: "هذا باب علم ما الكلم من العربية."[1] وهو ما اصطلح عليه المتأخرين عنه ب: الكلام وما يتألف منه.

وغالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة لنا، فترى نفسك مضطرا للعودة إلى صلب الكتاب لتفهم المقصود منه وقلما تجد عنوانا مفهوما في هذا الكتاب.[2]

وأذكر هنا الإشكال نفسه الذي نواجهه، ونحن ندرس في الفصل الخامس في وحدة: القضايا النحوية، عندما طلب منا فك شفرة هذه العناوين وتحليلها؛ وجدنا أنفسنا عاجزين، أمام اللغة التي يستعملها سيبويه، في تبويبه للكتاب والمصطلحات التي يعبر بها، وهي غير متاحة للمبتدئين أمثالنا، بل للمتمرسين في اللغة وعلم النحو،

فمثلا: أقسام الكلام، أو الكلام وما يتألف منه، بعيد كل البعد عما سماه سيبويه-باب علم ما الكلم من العربية- في نظرنا. فلفك شفرة هذا العنوان؛ يجب أن تكون لديك معارف مسبقة، وسلاح لغوي عال، وأن تكون ملما وعارفا بالمصطلحات المتداولة في تلك الحقبة، إذ لكل عصر مدلولاته ومصطلحاته، ولو أن العلم يبقى نفسه، فالمصطلحات تتغير من زمن لآخر، بل ومن شخص لآخر.

2-في الترتيب:

إن المتأمل في كتب النحو يجد أن منها ما أُلِّف في موضوع خاص، ومنها ما ألف في دراسة القواعد العربية، وهذا التأليف يكون بترتيب مداخل المؤَلَّف، فمنهم من يرتب بحسب العمدة والفضلة، ومنهم من يرتب بحسب نوع الكلمة.

أما سيبويه: فقد رتب كتابه بحسب نظرية العامل، في هذا الصدد يقول النجدي ناصف: "ومهما يكن الأمر؛ فهذا النسق كما ترى مخالف لنسق المخالفين في كتب النحو، فهم في جملة الأمر؛ ينظرون إلى أحوال الإعراب، أي إلى أثر العوامل لا إلى العوامل نفسها، ويقسمون الأسماء تبعا لذلك؛ إلى مرفوعات ومنصوبات ومجرورات، ويفردون لكل موضوع بابا، وهو لا جرم أجمع للشمل، وأعون على الربط من نسق سيبويه."[3]

---

[1]- نفسه. ص: 12.
[2]- ينظر: سيبويه؛ حياته وكتابه، أحمد بدوي. مؤسسة هنداوي سي آي سي، ص: 29.
[3]- سيبويه؛ إمام النحاة، علي النجدي ناصف. ص: 171.

فمنهجه في الترتيب يخالف المتأخرين عنه في ترتيب مداخل كتابه؛ إذ لا يأتي بالمرفوعات على حدة ثم المنصوبات والمجرورات، بل يمزج بعضها ببعض في ترتيب الأبواب.

فمثلا: عندما تحدث عن المسند والمسند إليه؛ كان من الأجدر أن يستوفي أبواب المسند إليه من مبتدأ وفاعل وغيرهما، ثم يعود إلى المسند ليستوفي أنواعه وأقسامه.

وسجل أحمد بدوي على ترتيب مداخل كتاب سيبويه الملاحظات الآتية:

.يذكر سيبويه الباب العام، ثم يعقد لكل مسألة من مسائله تقريبا بابا خاصا يعالجها.

.لا يذكر دائما مسائل الباب الواحد سلسلة متصلة متتابعة.[1]

وجملة القول: فترتيب الكتاب كان على أساس العوامل لا على نسق المعمولات، وترتيب المداخل مدارها: نظرية العامل.

3-في المصطلحات:

ويمكن صياغة بعض من المصطلحات النحوية التي جاءت في طي الكتاب، مصحوبة بمعانيها الدلالية والاصطلاحية في الجداول الآتية:

أ-

المفعول به في الكتاب	دلالته الاصطلاحية
يقول سيبويه: "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول، وذلك قولك: ضرب عبد الله زيدا."[2]	" هو الذي يقع عليه فعل الفاعل "[3]

ب-

المفعول معه في الكتاب	دلالته الاصطلاحية
يقول سيبويه: " هذا باب يظهر فيه فعل وينتصب في الاسم لأنه مفعول معه	هو: "الاسم المنتصب؛ بعد واو بمعنى مع."[2]

[1]- ينظر: سيبويه؛ حياته وكتابه، أحمد بدوي. ص: 29.
[2]- الكتاب، سيبويه. ج43/1.
[3]- التطبيق النحوي، عبده الراجحي. مكتبة المعارف- الرياض، ط2، 2011، ص: 189.

ومفعول به، كما انتصب نفسه في قولك: ما صنعت وأباك."[1]	

ج-

التمييز في الكتاب	دلالته الاصطلاحية
يقول سيبويه: "فصار هذا تبينا لموضع ما ذكرت، كما صار الدرهم مم العشرين، حيث قلت: عشرون درهما[3]	هو: " كل اسم نكرة متضمن معنى من، لبيان ما قبله بإجمال."[4]

د-

بدل الغلط والنسيان في الكتاب	دلالته الاصطلاحية
استعمل سيبويه هذا المصطلح؛ كما استعمله سابقوه، قال: "وإنما يجوز رأيت زيدا أباه، ورأيت زيدا عمرا."[5]	بدل المباينة: "يقسمونه إلى بدل غلط وبدل نسيان، وبدل إضراب، وكلها ترجع إلى معنى متقارب، هة ترك المبدل منه، وإرادة البدل وحده."[6]

ولسيبويه مصطلحات ابتدعها، ومن بينها ما يأتي:

.مصطلح العلامة: وقصد بها؛ الحركات الإعرابية.

.الاسم المبنى عليه: قصد به الخبر.

.مصطلح النفاد: استعمله سيبويه لمعنى التعدي.

.الاسم المبهم: أطلقه على عدة معاني؛ أبرزها: اسم إشارة.[7]

---

[2]- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل. تح: محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ط1، 2009، ج90/2.

[1]- الكتاب، سيبويه. ج297/1.

[3]- الكتاب، شيبويه.ج191/2.

[4]- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل. ج128/2.

[5]- الكتاب، سيبويه.ج151/1-152.

[6]- التطبيق النحوي، عبده الراجحي. ص: 383.

[7]- موسوعة المصطلح النحوي، من النشأة إلى الإستقرار. يوحنا مرزا الخامس، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ج244/1-247.

ويمكن القول: بأن سيبويه استعمل مصطلحات نحوية التي كانت سائدة في عصره ولم يفرغها من مدلولاتها، بل أبقاها على ما كانت عليه عند من سبقه من النحاة، وجاء بمصطلحات جديدة ابتدعها؛ لتدل على مدلولات غير التي كانت عليها من قبل.

فمصطلحاته كثيرة جدا، لا تكاد تحصر، ويفيض كتابه بشكل يوحي على أن سيبويه متمكن وعالم، وقد استقرت مصطلحاته وشاعت وحظيت بالقبول والسيرورة، ولاقت قبولا واستحسانا لذا اللاحقين ومن جاء بعده من المهتمين.

5- في التقعيد:

التقعيد مصطلح مشتق من قعد، جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، "قعد اللغة ونحوها: وضع لها قواعد يعمل بموجبها."[1]

استنادا على هذا فإن التقعيد: "صناعة القاعدة "[2]

وتقوم القاعدة أو التقعيد ب"التعميم الذي يخرج بنا من الواقعة أو الواقعات المفردة إلى القانون الذي ينطبق على ما لا يحصى من النماذج والوقائع."[3]

وقد اعتمد سيبويه في تقعيده وتأليفه للكتاب على مادة تتكون من:

.مفردات مروية، وأخرى غير مروية.

.مفردات عربية، وأخرى أعجمية خالصة أو معربة.

.مسائل مقترضة قيست على نظائر لها في العربية.

.شواهد من القرآن، وأخرى من الشعر والرجز.[4]

ويمكن تفسير هذا على أن سيبويه عند تقعيده، اعتمد على لغة العرب وخطبها، وعلى النصوص البليغة التي يطابق فيها الكلام مطابق الحال، كما أنه اعتمد على القياس والاستقراء.

---

[1]- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ط1، ج1841/3.
[2]- الاستدلال النحوي، محمد عبد العزيز الدايم. (د-ط) 2008، ص: 18
[3]- الكتاب نفسه. والصحة نفسها.
[4]- ينظر: سيبويه؛ إمام النحاة، علي النجدي ناصف. ص: 143.

والقاعدة هي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزيئاته، والقاعدة النحوية: قاعدة كلية، كالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، وقواعد النحو العربي قانون لغوي مستمَد ومبني على الاستقراء والاستنتاج والملاحظة، والتمثيل كذلك، وهي نفس المعاير التي اعتمدها سيبويه في تأليفه.

الشاهد النحوي عند سيبويه:

الاستشهاد مشتق من شهد يشهد شهودا جاء في لسان العرب: "الشاهد: العالم الذي يبين ما علمه، واستشهده؛ سأله الشهادة، وفي التنزيل: { واستشهدوا شهيدين من رجالكم}[1]، والشهادة: خبر قاطع."[2]

فالمعنى اللغوي العام للاستشهاد هو طلب الشهادة.

واصطلاحا: هو"عبارة عما كان حاضرا في قلب الإنسان، وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب هو العلم، فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق".[3]

أو هو: "الدليل الذي يقدمه النحوي شاهدا على صحة القاعدة النحوية المستنبطة من لغة العرب الخالصة والسليمة، شعرا كانت أو نثرا."[4]

فالاستشهاد هو: تعزيز القاعدة بمصادر استشهادية، والتي تتمثل في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب نثرا أو شعرا.

وهي المصادر نفسها التي اعتمدها في تأليف كتابه، واستشهاده بواستطها للقواعد العربية بشكل خاص، والعلوم الأخرى التي اشتمل عليها الكتاب بشكل عام.

وهذه المصادر على الشكل الآتي:

1- الاستشهاد بالقرآن الكريم:

فالقرآن الكريم: "هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز."[1]

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 282.
[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي. مادة: (ش، هـ، د).
[3]- التعريفات، الشريف الجرجاني. ص: 20.
[4]- نفسه. والصفحة نفسها.

"والقرآن هو أساس الإسلام وقاعدته، وهو كتاب العربية الأول والأكبر، وعليه يتوقف دين المسلمين ودنياهم، فقد عني القراء بضبط لغات القرآن الكريم، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه، وتوسعوا في شواهده حتى لقد أحصوا منها فيما قيل: ثلاث مائة ألف بيت من الشعر."[2]

وقد أجمع العلماء على أن نصوص القرآن هي: المصدر الأساس في تقعيد اللغة العربية، فهو كتاب منزل بلسان عربي مبين.

استشهد سيبويه بالقرآن الكريم في كثير من المواضع؛ وبلغت آيات المستشهد بها في الكتاب: أربع مائة وسبع وأربعون آية، فمثلا: "باب ما يختار فيها إعمال الفعل ما يكون في المبتدأ مبنيا عليه الفعل. وذلك قولك: رأيت زيدا، وعمرا كلمته، ومثل ذلك قوله تعالى: " يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما."[3] وقوله عز وجل: " وفريقا هدى، وفريقا حق عليهم الضلالة."[4]"[5]

2- **الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:**

الحديث في مصطلح المحدثين: "هو ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو صفة، والقول قد يكون تقريرا أو أمرا أو نهيا، والفعل قد يكون أداءً أو امتناعا."[6]

يعد الحديث ثاني مصدر بعد القرآن الكريم، لكن سيبويه قليل ما يستدل ويستشهد به، إذ لا يتعدى عدد الأحاديث التي استدل بها ثمانية أحاديث، لكنه لا يذكرها بما يدل على أنها أحاديث، ومنها:

."سبوحا قدوسا، رب الملائكة والروح."[7]

---

[1]البرهان، في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي. دار الفكر، ط1، (د-ت)، ج318/1.
[2]- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب السعيد. دار الكاتب العربي، القاهرة(د-ط)، (د-ت)، ص: 28.
[3]- سورة الإنسان، الآية: 31.
[4]- سورة الأعرف، الآية: 30.
[5]- الكتاب، سيبويه.ج88/1.
[6]- نزهة النظر، شرح نخبة الفكر، في مصطلح أهل الأثر، شهاب الدين ان حجر العسقلاني. تقديم وضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر (د-ط)2008، ص: 18.
[7]- الكتاب، سيبويه. ج1/ 391.

." ما من أيام أحب إلى الله؛ الصوم من عشر ذي الحجة."[1]

."كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما يهودانه وينصرانه."[2]

3- الإستشهاد بكلام العرب:

يعد كلام العرب من مصادر الاستشهاد، وهو ما تكلمت به العرب على السجية والسليقة، سواء كان نثرا أو شعرا، يقول السيوطي: "وأما كلام العرب فيحتج به بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم."[3]

ويلاحظ أن الجنس الأدبي الذي يستشهد به سيبويه في كتابه هو الشعر، نظرا لسهولة حفظه، وأكثر صحة مقارنة بالنثر.

يقول ابن رشيق القيرواني: "وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكل نوع منهما؛ ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر، وتساويا في القيمة، ولم يكن لأحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية: لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه معترف العادة."[4]

وقد بلغ عدد شواهد الشعرية في كتاب سيبويه: ألفا وخمسين شاهدا، وعدد الأمثال والأساليب أو الجنس النثري ثلاث مائة وخمسين شاهدا.

يقول سيبويه في "باب اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع، وذلك قولك: هذا ضارب زيدا غدا."[5]

فمعناه وعمله: هذا يضرب زيدا غدا، وما جاء في الشعر قول امرئ القيس:

إني بحبلك واصل حبلي وبريشي نبلك ر ائش نبلي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

---

[1]- نفسه. ج29/2.
[2]- نفسه. ج160/3.
[3]- الاقتراح، جلال الدين السيوطي. تح: محمد حسن إسماعيل الشافعين. (د-ط)، (د-ت)، ص: 33.
[4]- الشعر والشعراء، محمد بن قتيبة. تح: مفيد قميحة، محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيوت – لبنان، ط1، 2001، ص: 9.
[5]- الكتاب، سيبويه. ج46/1.

ومن مالىء عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وقال هير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقا شيئا إذا كان جائيا

وقال الفرزدق:

أتاني على القعساء عادل رطبه برجلي لئيم واست عبد تعادله[1]

لم يخلو مصنف سيبويه من الاستشهاد بالقرآن الكريم، فطبيعي أن يصنف القرآن الكريم ضمن المصادر المعتمدة لذا سيبويه في الاستشهاد والاستدلال، لكونه يحتوي على أساليب وعبارات جديدة، لم يسبق للعرب أن استعملتها، لكن سيبويه اعتمد كثيرا على كلام العرب واستشهد به، في حين أغفل الحديث، ولم يعتمده في الاستدلال عدا أحاديث محددة.

ختاما نستشف من كل ما ذكر؛ أن عثمان بن قنبر، أغنى المكتبة العربية والإسلامية بمؤلفه "الكتاب" المحتوي على ركائز اللغة العربية؛ نحوها وصرفها ودلالتها، ولو أن البعض عاب عليه هذا المزج والخلط بين العلوم المختلفة، فلا يقتصر على ذكر قواعد النحو فحسب؛ بل يذكر قواعد الصرف كذلك، وهو بلا شك، مصدر أساس من مصادر النحو العربي، ولا يمكن أن يستغني عنه دارسوا اللغة العربية، في أي مجال.

وقد نهج في ترتيب أبواب كتابه ومداخله منهج توظيف نظرية العامل، مخالف بذلك جل مؤلفات النحو العربي، فبدأه بالحديث عن الأفعال، ثم أردفها بكل ما يتعلق بها من

[1]- ينظر: سيبويه؛ إمام النحاة، علي النجدي ناصف. ص: .147.

مسميات ومتممات الجملة، كالفاعل والمفعول، والتمييز والحال والمنصوبات، وجاءت عناوينه طويلة وغامضة، يعتريها الإيهام وعدم الوضوح، فلا يتأتى منهجه للقارئ العادي، بل لابد من التمرس والإلمام بقوعد النحو، ومعرفة خبايا اللغة العربية .

فأما مصطلحاته فقد جاءت بعض منها مبتدعة ومبتكرة من تلقاء نفسه، والبعض الآخر تلقاها عن المؤسسين الأوائل؛ منذ أبي الأسود الدؤلي وتلامذته.

وقد اعتمد في التقعيد على وصف الظواهر النحوية وتفسيرها، واستقراء الألفاظ للوصول إلى قاعدة كلية حاكمة، ثم يمثل لها ويعززها بشواهد قرآنية وحديثية وكلام العرب نثرا كان أو شعرا؛ ويستشهد كثيرا بالشعر لأنه أكثر ثقة وصيانة، مقارنة مع الجنس النثري في نظره.

وأغلب العلماء اتفقوا أن لسيبويه نمطا في تأليفه، ويعتبر منهجه منهج فطرة وطبع، يدرس أساليب الكلام في الأمثلة والنصوص؛ ليكشف عن الرأي الصحيح الأصوب.